((حجاجية الأساليب الإنشائية الطلبيية في

شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ت374هـ))

عدنان حمزة تمن خافور

أ.م.د. فلاح عبد علي سركال

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة مواطن الاحتجاج في الأساليب الإنشائية لدى الشاعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، فرصد هذا البحث أهم الأساليب الإنشائية التي وظفها الشاعر والتي أظهرت قدرته على تنويع أساليب البناء النحوي، ومن أهم هذه الأساليب: الاستفهام والنداء والأمر والتمني والنهي، التي لها وظيفة مهمة في العملية الحجاجية، لما لهذا الأساليب من قوة حجاجية في الاقتناع يعتمد عليها المحاجج من أجل ان يبلغ غايته في اقناع المتلقي.

Abstract

This research aims to study the places of protest in the constructive methods of the Fatimid poet Tamim bin Al-Moez Li Din Allah. An important function in the argumentative process, because these methods have the power of argumentation in persuasion.

الكلمات المفتاحية:

الحجاج ، تميم بن المعز، الأساليب الإنشائية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، أبي القاسم محمد ، وعلى أهل بيته أنوار الهدى ومصابيح الدجى، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فقد شبه بعض النقاد المعاصرين علم المعاني بـ طائر له جناحان: هما الإنشاء والخبر، وللإنشاء اقسام، لهذا اقتضت طبيعة البحث أن نقسمه على خمسة مطالب، تدرس في المطلب الأول: حجاجية أسلوب الاستفهام، وفي المطلب الثاني حجاجية أسلوب النداء، في حين تكفل المطلب الثالث بدراسة حجاجية أسلوب الأمر، ومن ثم اختص المطلب الرابع بدراسة حجاجية أسلوب التمني، وأخيراً إختص المطلب الخامس بدراسة حجاجية أسلوب النهي.

مدخل: في سيرة الشاعر

أولاً: شذرات من سيرة تميم بن المعز

تميم بن المعز لدين الله الفاطمي من شعراء الدولة الفاطمية ولد الأمير تميم سنة 337هـ⁽¹⁾، وهو ابن الخليفة الفاطمي الرابع، ولد في مدينة المهديية في عهد جده المنصور بالله، وهو الأبن الأكبر للمعز لدين الله الذي رزق بـ أربعة أبناء ذكور هم: تميم، عبد الله، نزار الذي تولى الخلافة ولقب بالعزيز وعقيل⁽²⁾، وان المعز لدين

الله لم يعهد إلى تميم بأي عمل من أعمال السياسة وبقي في معزل عن الحياة السياسية، فانصرف الى حياة اللهو والمجون، وتوفى الأمير الشاعر سنة (374هـ) في شهر ذي القعدة في مصر⁽³⁾

ثانياً: مفهوم الحجاج

لم يجتمع النقاد حتى الآن على تعريف دقيق علمي جامع مانع للحجاج ونرى أن تعريفاته " تنتهي في أغلب الأحيان إلى الحديث عن النص الحجاجي بما يبينه من النصوص، علما تنجح في توضيح هذا المفهوم بشكل علمي دقيق"⁽⁴⁾، فالنص الحجاجي " يمكن عدّه - دون ريب - برهانيا، فإذا كان قصده معلنا واستدلالاً له واضحا، وافكاره مترابطة، فلأنه يحرص كل الحرص على الإقناع، إقناع المتلقي بوجهة نظره، أو طريقة في تناول الأشياء بل قد يحاول حمله على الإذعان"⁽⁵⁾.

يُشبه بعض النقاد المعاصرين علم المعاني بـ طائر، له جناحان هما: الإنشاء والخبر، وللإنشاء والخبر أقسامٌ يقتضيها حال الطواهر، وأقسامٌ يقتضيها حال البواطن⁽⁶⁾

وفروع الإنشاء الطلبيّة خمسة، ومثلها فروع الإنشاء غير الطلبيّة. وسندرس في هذا البحث حجاجيّة فروع الإنشاء الطلبيّة، في ديوان: تميم بن المعزّ لدين الله الفاطميّ/ وسنبداً بحجاجيّة الاستفهام.

المطلب الأول - حجاجية اسلوب الاستفهام: هو طلبُ الفهم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة، وادوات الاستفهام كثيرة منها ما هو حروف، هما: الهمزة (هل) و الاسماء، هي: مَنْ، ما، أي، متى، أيان، أين، أتى، كيف، كم⁽⁷⁾

يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معانٍ كثيرة مثل خروجه إلى النفي أو التّعجب أو الإنكار أو التقرير أو التعظيم أو المبالغة أو الحنين أو التشويق،....، ومنه قول تميم مُعَاتِباً ساخطاً⁽⁸⁾: [الوافر]

أَتَعْلَمُ كَيْفَ كَانَ لَكَ انْعِطَافِي؟ وَكَيْفَ رَأَيْتَ قَدَمًا فَيْكَ رَائِي؟
أَحِينٌ مَلَكْتَنِي وَالنَّاسَ طُرّاً وَرُحْتَ خَلِيفَةً فِي ذَا الْفِضَاءِ
يَجِيئُكَ مُبْغِضٌ لِي سَاعِيًا بِي يَرُومُ لَدَيْكَ نَفْضِي فِي خِفاءِ

قدّم تميم حجاجه لأخيه الخليفة على صدق ودّه عبر أسلوب الاستفهام بما كان موقّفه منه عندما رُشِّحَ العزيز لولاية العهد، وتركيبته له وإيثاره على نفسه، ولكنه استعمل الاستفهام الذي خرج إلى معنى التّعجب في البيت الثاني عبر (أحين ملكتني) فالاستفهام يعطي للكلام طاقة حجاجيّة عالية، يُقدّم حجته بخطأ أخيه إذ قبل الوشاية به فكانته بعد تسلّم أخيه الخلافة أصبح مملوكاً له وفي الوقت الذي انتظر تميم عناية أخيه به فوجئ بنقيض ذلك، احتجّ تميم على ظلم أخيه بنكران حقّ الأخوة وحجّته قبول العزيز الوشاية حتى كأنّ تميماً أصبح عبده حين عبّر (أحين ملكتني) فزادت كلامه طاقة حجاجيّة⁽⁹⁾.

قال يردُّ على عبد الله بن المعتزّ في تفضيله العباسيين على العلويين⁽¹⁰⁾: [الخفيف]

يا بني هاشمٍ، ولسنا سواءً في صِغارٍ مِنَ العُلا وَكِبَارِ
إِنْ نَكُنْ نَنْتَمِي لَجَدِّ فَإِنَّا قَدْ سَبَقْنَاكُمْ لِكُلِّ فَخَارِ
ليس عَبَّاسُكُمْ كَمِثْلِ عَلِيٍّ هل تُقَاسُ النُّجُومُ بِالْأَقْمَارِ!؟

يحتجّ تميم على ابن المعتز بتفضيله العباسيين على العلويين، مؤكّداً أنّ العباس وإن كان عمّ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لا يُقَاسُ رِفْعَةً وَمَنْزِلَةً بِعَلِيٍّ (عليه السلام) فكما أنّ النجوم لا تُقَاسُ إِضَاءَةً وَنُورًا بِالْأَقْمَارِ فَكَذَلِكَ لَا يُقَاسُ الْعَبَّاسُ وَذُرَارِيهِ بِعَلِيٍّ وَذُرَارِيهِ مُسْتَمْتَرًا هَذَا الِاسْتِفْهَامُ الَّذِي خَرَجَ إِلَى (الانكار) لِإثبات حجّته.

ويعود تميم ثانيةً ليقول محاججاً⁽¹¹⁾: [الخفيف]

وَمِنْ بَاهِلِ النَّبِيِّ! أَنْتُمْ جُهَلَاءٌ بِوَاضِحِ الْأَخْبَارِ!
أَبْعُدِ الْإِلَهَ أَمْ بِحُسَيْنٍ وَأَخِيهِ، سُلَالَةَ الْأَطْهَارِ!؟

فقد اكد الشاعر أن ما تفرّد به آل عليّ لم يفز به أحد من الناس لا العبّاسيون ولا غيرهم مُشيراً إلى ما خُصّوا به في آية المُباهلة دون عبد الله بن العبّاس وهو سيّد قومه ليَصِلَ إلى النتيجة التي يبتغيها، وهي أن العلويين هم الأحقُّ بالخلافة، ولهم الفخر على من سواهم. وقد خرج الاستفهام إلى معنى الإنكار والنفي لما زعمه ابن المعتز.

قال في موضع اخر في رثائه لأهل البيت، وقد أطل الحديث في ذكر جرائم أعدائهم⁽¹²⁾: [الطويل]

تَوْتِ لِيْ أَسْلَافُ كِرَامٍ بِكَرْبَلَا هُمْ لِنُغُورِ الْمُسْلِمِينَ سِدَادُ
أَصَابَتْهُمْ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ عِدَاوَةٌ وَعَاجَلَهُمْ بِالنَّكَثِينَ حِصَادُ
كَفَيْفَ يَلِدُ الْعَيْشُ عَفْوًا، وَقَدْ سَطَا وَجَارَ عَلَى آلِ النَّبِيِّ زِيَادُ

يعرّض تميم مآسي آل البيت (عليهم السلام) ولا سيّما ما جرى لهم في وقعة كربلاء من بطش الأمويين بهم وظلمهم الفاحش، ليحتج بذلك على عمق حزنه ونظرته السوداوية للحياة، فإذا كان سيّد شباب أهل الجنة وسبب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) جرى له ولرفاقه ما جرى فليس في الحياة ما يُسعد.

وقال أيضاً⁽¹³⁾: [الطويل]

مَتَى كَانَ يَوْمًا صَخْرُكُمْ كَعَلِيَّهِمْ إِذَا عُدَّ إِيْمَانٌ وَعُدَّ جِهَادُ؟
أَلَيْسَ رَسُولُ اللَّهِ فِيهِمْ خَصِيمُكُمْ إِذَا اشْتَدَّ إِبْعَادُ وَأَرْمَلُ زَادُ؟
بِكُمْ أَمْ بِهِمْ جَاءَ الْقُرْآنُ مَبْشَرًا؟ بِكُمْ أَمْ بِهِمْ دِينُ الْإِلَهِ يُشَادُ!؟

وظف تميم استفهامه في البيت الأول عبر مقارنة الضدّ بضدّه (وبضدّها تتميّز الأشياء) مُحتجاً على الأمويين لافتخارهم بأبي سفيان، وهو من حارب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وكان من قادة المشركين، ولم يُسلم إلا تحت حدّ السيف، يحتج عليهم بقوله: أهذا يُفأس بعليّ رفعةً وافتخاراً وهو (عليه السلام) الذي كان عمود الإسلام ورافع لوائه وحامي حماه، ليَصِلَ إلى النتيجة إلى إقامة الحجّة بأن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الذي يحقُّ للمسلمين أن يفخروا به. وقد خرج الاستفهام إلى معنى الإنكار.

وفي البيت الثاني استفهامٌ خرج إلى معنى التقرير والوعيد مؤكّداً أنّ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) سيكون خصيم الأمويين يوم القيامة لما فعلوه بأل بيته (عليهم السلام) وذرائعهم، وهذا يعني أنّهم من أهل النار وهذه هي الغاية من هذا الحجاج كلّهُ.

قال تميم يمدح أخاه الخليفة العزيز بالله، ويهنّئه بعيد الفطر، ويعتذر له عن عدم حضوره بين يديه، لعلّة عرضت له⁽¹⁴⁾: [البسيط]

وَمَنْ يَبِيعُ نَهَارًا مُشْرِقًا بِدُجَى! وَمَنْ يَجُوزُ ضَحَى الْإِصْبَاحِ لِلطَّقَلِ!؟
لَكِنْ تَخَلَّفْتُ مِنْ سَقْمٍ وَمِنْ أَلْمٍ طَفِقْتُ بَيْنَهُمَا كَالهَائِمِ الْخَبَلِ

يقدّم تميم عذره عن تخلفه لمعايدة أخيه الخليفة، مؤيداً قوله بحجّة تُفنع أخاه، فهو يُشبهه لقاء أخيه بالضحى، وغيباه عنه باللّيل المظلم، ولا يصحّ في عقل عاقل أن يُفضّل الليل الداجي على ضحوة النهار، ثم يعود ليؤكد ذلك مرّة ثانية في الشطر الثاني من البيت نفسه أنه لا يجوز أن يُفضّل غياب الشمس على ضحوتها ليثبت

أنَّ غيابه لم يكن جهلاً منه بقدر أخيه ولا تقصيراً بأداء الواجب، بل لعلّة أعاقته عن ذلك كما بيّن في البيت الثالث. وقد خرج الاستفهام هنا إلى معنى النفي والتعجب عبر هذا التشبيه الذي أعطى قوله طاقةً حجاجيةً عاليةً.

قال تميم بن المُعزِّ، وقد رَكِبَ يوماً إلى بعض البساتين بالمنصورية، فأرسل المُعزِّ في طلبه للخدمة التي كان يتولّاها بين يديه، فجاء مُبادراً، وتَعَدَّرَ لِقَاؤَهُ، فكَتَبَ إليه⁽¹⁵⁾: [مجزوء الكامل]

مالي عجلت إلى دُعائك وحرمت حظي من لِقائك؟!
وتركتني مستوحشاً لَمَّا عَزَمْتُ على اصطفائك
حتى لقد أوهمتني أني أخونك في وفائك

يعرض تميم حُجَّتَهُ على صدق التزامه بأوامر أبيه إذ ترك كل ما كان بين يديه، وهُرِعَ إلى لقائه حين استدعاه، لكنَّ أباه حَجَبَهُ عند وصوله وكأنه ارتكب جرماً، مُستدِرّاً بذلك عاطفة الأب تجاه ولده. وقد خرج الاستفهام إلى معنى التعجب والتحسر.

لقد استطاعت الأداة (أي) الاستفهامية أن تحمل كل هذه الشحنات العاطفية الحياشة وقد خرج فيها الاستفهام إلى معنى المُبالغة في التصوير، والتحسر، وتقديم حُجَجِها في تعليل الحال التي وصل إليها الشاعر بسبب إخراجها من عين شمس.

قال تميم بن المُعزِّ في رثائه لآل البيت، مُحاجِجاً الأمويين⁽¹⁶⁾: [الطويل]

متى قَطُّ أضحي عبدُ شمسٍ كهاشم؟! لقد قلَّ إنصافٌ، وطالَ شرادُ
متى وُزِنَتْ صُمُّ الحجارِ بجوهر؟! متى شارفت شمَّ الجبالِ وهادُ؟!
متى بعثَ الرَّحمنُ منكم كجدِّهم نبياً، علَّتْ للحقِّ فيه زنادُ؟!
متى أصبحتِ هِنْدُ كفاطمة الرضى؟! متى قبسَ بالصُّبحِ المُنيرِ سوادُ؟!
آلَ رسولِ اللهِ سُؤْتُمْ وكِدْتُمْ؟! ستحيا عليكم ذلَّةً وكسادُ

وظف تميم الحجاج (بمتى) في هذه الأبيات ستّ مرات، وقد خرج فيها الاستفهام إلى ثلاثة معانٍ هي: النفي والتعجب والإنكار، مُقيماً حجاجه عبر الأداة (متى) في مقارنة تاريخية من الجاهلية إلى الإسلام، بين آل البيت (عليهم السلام) وأبائهم من جهة، وبين الأمويين من جهة ثانية ليثبت أن الهاشميين، ولا سيما آل بيت النبوة، لا يرقى إلى منزلتهم أحد، فكيف بالأمويين؟! إن المساواة بين طرفي هذه المقارنة لهُوَ أفحشُ الظلم، ومن ساوى بينهما فقد جانب الإنصاف، وشرّد عن جادة الحق، ثم يتساءل مُستنكراً غاضباً متعجباً مُنكراً أن تُفاسَ هِنْدُ بنتُ عُتْبَةَ زوجِ صخر، أكلتْ الأكباد التي شفت صدر الحمزة، شهيد رسول الله وعمه، وانتزعت كبدَه، ولاكتَه، وأكلت منه حتى أمست سبّةً على امتداد العصور أن تُفاسَ ببضعة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وسيدة نساء العالمين، وأمّ الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وزوج أمير المؤمنين؟!، إن هذا لهُوَ عمى البصائر، ومساواة الظلمة بالنور، وقائل ذلك حاله حال من دَمَهُمُ الله- تعالى جَدَهُ- بقوله: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (17)، مؤكّداً أن أفعال الأمويين الشنيعة وجرائمهم الفظيعة بحق آل بيت النبوة ستبقى عليهم سبّةً أبد الدهر، حتى يوم الحشر، وهنالك الويل والتبور. وقد قدّم تميماً حجاجه بأفضلية آل البيت (عليهم السلام) على الأمويين.

ونجد الاستفهام من جديد ينهض بمهمة الحجاج في مدحيه لأخيه الخليفة العزيز بالله⁽¹⁸⁾: [البيسيط]

من أين أنسى أيديك التي سلّفت عندي، ولحمي من أفضالها، ودمي؟!
كم مئة لك عندي لست أكفرها ونعمة قد أنافت بي على النعم!

وكيف أشكرُ إحدى ما مَنَنْتَ به وقد رمانِي نَدَى كَفَيْكَ بالبَكم؟!

يعتذر تميم عن إيفائه حقَّ الشُّكر لأخيه العزيز، وما تفضَّل به عليه مقدِّماً حُجَّتَهُ أنَّ فضل أخيه أخرسه وعقد لسانه، وكم في ذلك من دلالةٍ على عظيم كرم العزيز على تميم، وهي حُجَّةٌ يأمل من خلالها الشاعر أنه ستُقعِّع العزيز وتُرضيه. وقد خرَجَ الاستفهام إلى معنى التَّعظيم.

المطلب الثاني - حجاجية أسلوب النداء:

يُعرِّف البلاغيون النداء بأنه "طَلْبُ إقبال المدعوِّ على الداعي بأحد حروفٍ مخصوصةٍ"،⁽¹⁹⁾ إذ ينوب كلُّ حرفٍ من هذه الحروف عن الفعل (أنادي)، فيتحوَّل الكلام من الخبرِ بالفعل (أنادي) إلى الإنشاء باستعمال أحد أحرف النداء⁽²⁰⁾.

وأدوات النداء ثمانية، هي: الهمزة (أي)، أيا، هيا، وا.

يخرُج أسلوب النداء عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى كالُدعاء والتفجُّع والتَّحسُّر والتَّعجُّب والندبة والاستغاثة، وهو ما يَدُلُّ عليها السياق، كما سنرى في الدراسة الآتية: تتجلى حجاجية أسلوب النداء في رثائه لأخيه⁽²¹⁾: [الخفيف]

يا أخي، أيُّ عِبْرَةٍ لَيْسَ تَهْمِي وفؤادٍ عليك لَيْسَ يَطِيرُ
يا أخي، إنَّ بَكَتَكَ عَيْنِي فَأِنِّي بالبُكا والأسى عليك جَدِيرُ
يا أخي، إنَّ صاجِبِي وأخي بَع دك تُلْهَابُ لوعَةٍ وزفيرُ
وفؤادٍ عن السُّلوِّ عَنِيذُ ومِنَ الصَّبْرِ والعزاءِ نَفورُ

إنَّ ما اتَّصف به المرثيُّ عبد الله من صفاتٍ جلييلة كما يُصوِّرُها تميمٌ في القصيدة وما كان بينهما من إخاءٍ صادقٍ، ومودَّةٍ لم يُعكِّرْ صفوها أيُّ قَدَى كَفِيلٌ لأنَّ يقوم حُجَّةً لتميمٍ في بكائه على أخيه، وتفجُّعه على فراقه وأن لا تُفارقه اللوعة وأن يُعييه الصَّبْر والعزاء. وقد خرَجَ النداء إلى معنى التَّحسُّر والتفجُّع. وقال مادحاً أخاه حين تولى الخلافة⁽²²⁾: [السريع]

يا أيُّها البدرُ الذي جدُّه محمَّدٌ، أكرَمَ، مِن جَدِّ
قَصَّرْتُ في مدحِك، لكنني أواصلُ المدحَ كما أبدي
فإنَّ تُسامحني فيا نعمةً يقصُرُ عن حمدي لها جهدي

يخرج النداء في البيت الأوَّل إلى معنى التَّعظيم، ويُقدِّم تميم حجاجه في وصف أخيه بالبدر، بأنَّ جدَّه الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله وسلم) ومَن كان الرسول جدَّه فحقُّ له أن يوصف بالبدر، ثمَّ يعتذر في البيت الثاني عن قصوره وتقصيره بمدح أخيه لينتقل في البيت الثالث مقدِّماً حجاجه بأسلوب النداء إذ يرى أنَّ مُسامحة أخيه له نعمةٌ ما بعدها نعمة، وهذه حُجَّةٌ تُفضي إلى عجزه عن أداء حقِّ شكرها. وقد خرَجَ النداء إلى معنى التَّعجُّب والتَّعظيم.

ونرى قيام النداء بدوره الحجاجي في مدح أخيه العزيز⁽²³⁾: [الرجز]

فكُنْ لَهُ - اللهم - خيرَ جارٍ وهبْ له أقصى مدى الأعمارِ
وارمِ عِداهُ عنه بالصَّغارِ واجعلْهُمُ أشامَ من قُدَّارِ

أطنب تميم في مديح العزيز ووصفه بصفات رفيعة، فعدله جعل الليل نهاراً، وأمات الظلمة، والدهر في ملكه في وقار، وقد فتح العزيز الأمصار.. الخ. مجمل هذه الصفات جعلها تميم حجةً ليدعو لأخيه بما دعا في هذين البيتين، إذ خرج النداء إلى معنى الدعاء والضراعة.

ويؤدى النداء دوره الحجاجي أيضاً في قول تميم يرثي آل البيت (عليهم السلام)، (24): [الطويل]

نأوا بعدما ألفت مكايدها النوى وقرت بهم دار، وصح وداؤ
وقد تؤمن الأحداث من حيث تنفى ويبعد نوح الأمر حين يراؤ
أعاذل، لي عن فسحة الصبر مذهب وللهم غيري مألّف ومصاد
توت لي أسلاف كرام بكر بلا هم لشعور المسلمين سداد

ما جرى لآل البيت (عليهم السلام) من مكاييد وما حلّ بهم من مصائب على يد الأمويين، ولا سيما بعد نكبة كربلاء، ملأ قلب تميم حزناً وألماً، فلم تدع في قلبه فسحة للصبر، ولا محلاً للهو، يُقدم تميم حجاجه هذا لمن يلومه على ترك اللهو ليقنعهم أنّ ما جرى لآل البيت (عليهم السلام) حجة كافية للإقناع بترك ملذات الدنيا. وقد خرج النداء المرخم إلى معنى النقع.

ونجد النداء يحمل معنى الحجاج في قول تميم يرثي أباه الخليفة المعز لدين الله (25): [الخفيف]

كيف لا تعدم الجسوم القلوبا وترى نضرة الوجوه شحوبا!
من يعزي الجياد أم من يسلي مجلس الملك والسريير الكنيا!
وا معزاه، وا معزاه، حتى يعتدي الدمع بالدماء خصيبا
فلينق غيري الحياة فاني لا أرى للحياة بعدك طيبا

يقف تميم مسلوب اللب، مُصدع القلب، أمام حدث هز أركان دولة الفاطميين، غياب المعز عن مسرح الحياة، والمعز بين خلفاء الفاطميين قطب الرحي وشمس فلكهم وراية مجدهم، فلا غرابة إن تفجع عليه تميم، والمعز قبل ذلك كله أبوه، ورافع رايته، وباسط رفته، لذلك نراه يتفجع عليه (وا معزاه وا معزاه)، مكرراً لفظ النذبة تحسراً وتفجعاً. عظمه المعز ودوره الكبير في إرساء أركان الدولة من جهة، وعاطفة الولد على أبيه من جهة ثانية حجة مُقنعة للمتلقى يُقدمها تميم في خطابه، تُقيم عنده في تفجعه على أبيه.

المطلب ثالث: حجاجية أسلوب الأمر

أسلوب الأمر من أساليب الإنشاء الطلبية، ومعناه في الاصطلاح: طلب القيام بالفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويأتي على أربع صور: فعل الأمر، و لام الأمر، و اسم فعل الأمر، و المصدر النائب عن فعل الأمر (26).

ويخرج أسلوب الأمر إلى، الدعاء والالتماس والتمني والتهديد والتعجيز والوجوب والتحسر... إلخ. وسنقف عند ما ورد في شعر تميم من هذه المعاني خلال دراسة أسلوب الأمر، ومنه قول تميم (27): [متقارب]

إذا كنت مُصطفياً مربعاً فخص القرافة بالإصطفاء
منازل معمورة بالعفا فمخصوصة بالنقى والبهاء
وينبه فيها النيام الاذان إذا مزق الليل سيف الضياء
فمن ذاكر ربه خشيةً ومن مستهل بطول الدعاء

يُقدم تميم حجاجه في وجوب اختصاص القرافة بالاصطفاء بمجموعة حُجج، منها أنّها مويّل التقي والعفاف وأن أهل الصلاة والذكر والدعاء، فهم المتصوفة المُقبلون على الله، والمُدبرون

عمّا سواه، وقد يكون الخطاب هنا موجهاً إلى نظراء تميم فيخرج الأمر إلى معنى الالتماس، وقد يكون أمراً لمن دونه في المنزلة، وواضح أن الأمر خرج إلى معنى النصح والإرشاد.

يؤدي أسلوب الأمر بدوره الحجاجي في قوله يمدح الخليفة العزيز بالله، وهي من مطولاته(28):

[الطويل]

وأفصحت حتى ليس إلاك مفصح
بياناً ووعظاً قد تناهيت فيهما
لأنك في بحر البلاغة مغرق
لإنيك أن الفضل أجمع كله
وأسهبت حتى ليس إلاك مسهب
كأنك لم يسبقك قس ويعرب
وفي ساحتني أرض النبوة منجب
إليك -أبا المنصور- وحدك ينسب

العزيز كما يقول تميم خطيب مصقع ورث البلاغة من بيت النبوة، فلا يشق له غبار، وقد جمع الفضل من كل أطرافه، وهذه حجج دفعت تميماً لأن يدعو له بالسعادة ليقتنع المخاطب بأن من اتصف بهذه الصفات يستحق أن يدعو له بدوام الهناء في قوله(لإنيك).

ونجد حجاج أسلوب الأمر أيضاً في قول تميم مفتخراً(29): [الخفيف]

أنا فردُ النهى وربُّ المعالي وحسام الكفاح يوم الكفاح
أنا مفتاح فقل كل نوال يوم يغدو الندى بلا مفتاح
أنا كالجذ في الأمور إذا ما كان غيري فيهن مثل المزاح
هاكها كالصهيل في حلبة الد فخر، إذا كان غيرها كالنباح

يصف تميم قصيدته في البيت الأخير بأنها كصهيل الخيل، وقصائد غيره كالنباح. هذه النتيجة التي أراد تميم أن يقتنع بها متلقي خطابه قدم لها بمجموعة حجج في الأبيات السابقة، فهو ربُّ المعالي، وهو فريد في رجاحة عقله، وهو سيف الكفاح ومفتاح أقال الكرم وهو الجد إذ كان غيره كالمزاح، كل هذه الحجج أفضت به إلى تلك النتيجة التي ساقها عبر أسلوب الأمر(هاكها).

ونجد أسلوب الأمر يؤدي دوره الحجاجي في قول تميم متغزلاً(30): [الرجز]

سقياً ورعياً لزمانٍ مضى به معدّ فعديمناه
ما كان أبهى حُسن أيامه فينا وأجلأه وأهنا!!
إذ لم يكن في عين شمس لنا مخيم نكره سكوناه

يقدم تميم حجاجه في هذا المقطع الشعري إذ يذكر العز الذي عاشه أيام أبيه المعز، وحسن تلك الأيام وبهاءها، وما كان فيها من هناء وسرور، يقدم ذلك كله حجة يقتنع بها سامعه بوجوب الدعاء لتلك الأيام بالسقيا والرعاية. وقد خرج الأمر بالمصدر النائب عن فعله(سقياً ورعياً) إلى معنى الدعاء.

المطلب الرابع: حجاجية أسلوب التمني

يعرف البلاغيون التمني بأنه "طلب الشيء المحبوب الذي لا يرتجى لاستحالة الحصول عليه أو بعد مناله"(31)، وأم أدوات التمني الأداة(ليت)، وقد يؤدي هذا المعنى أحياناً بعض الأحرف، مثل: (هل) و(لو) و(لعل)..... الخ وهذه الأحرف لم توضع للتمني، ولكن تخرج عن معانيها الأصلية التي وضعت لها إلى معنى التمني أحياناً(32)، التمني من الأساليب الإنشائية التي يكثر فيها الحجاج كقول تميم معتذراً عن لقاء أخيه لعله عرّضت له فكتب إليه(33): [الطويل]

ولو طارَ مِنْ قَبْلِي مَشُوقٌ لِشَائِقٍ أَطْرْتُ بِشَوْقٍ يَقْطَعُ الْقَلْبَ وَالصَّدْرَا
فِيَا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْ كُلِّ حَادِثٍ وَأَلْقَى حُطُوبَ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالدَّهْرَا

يَعْتَذِرُ تَمِيمٌ عَنْ تَخْلُفِهِ عَنِ اللَّحَاقِ بِرُكْبِ الْعَزِيزِ بِسَبَبِ مَرَضِهِ لَا لِسُوءِ نِيَّةٍ مِنْهُ مُؤَكَّدًا وَلَا لِعَدْوٍ لَهُ وَقَدْ قَدَّمَ حُجَّةً هَذَا الْوَلَاءَ بِأَسْلُوبِ التَّمْنَى حِينَ تَمَنَّى أَنْ يَفْتَدِيَهُ بِنَفْسِهِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَهَذِهِ الْحُجَّةُ وَإِنْ كَانَتْ أَمْنِيَّةً مُسْتَحِيلَةً سَعَى أَنْ تَلْقَى الْقَبُولَ عِنْدَ الْعَزِيزِ.

ونرى حجاجية أسلوب التمني في قول تميم متغزلاً (34): [مجزوء الكامل]

قَمْرٌ تَفَرَّعَ غُصْنٌ بَا نِ فِي نَقَا كَفَلٍ عَمِيمِ
أَعْنَتُ لَوَاحِظُ طَرْفِهِ فِي السُّكْرِ عَنِ كَأْسِ النَّدِيمِ
أَشْكُو إِلَى مُنْتَظَّمِ الْ- وَجَنَاتِ ذِي نَظَرٍ ظَلُومِ
وَلَقَدْ سَكُوتٌ هَوَاهُ لَوْ أَشْكُو هَوَاهُ إِلَى رَحِيمِ

يؤكد تميم أن جمال معشوقته ظالم لا يرحمه، فوجهه قمر وكفله نقا، ولو لاحظته مسكرة تُغني عن الخمر ووجناته ظلومة تحرق قلبه. اعتمد تميم في تقديم هذه الحجة ليثبت أن حبيبه ظالم له بجرمانه من كل ما دُكر وقد ساق ذلك عبر أسلوب التمني ب(لو) في شكواه لحبيبه، ولئنه يشكو إلى قلب رحيم يعطف عليه، بل يشكو إلى ظالم.

المطلب الخامس: حجاجية اسلوب النهي

النهي: شقيق الأمر، فعندما تنهى فلاناً عن فعل شيء ما كأنك تأمره بتركه، وأداته (لا) الناهية، وهي تحمل معنى معاكساً للأمر، إذ لام الأمر يُطلب بها القيام بأمر ما، و(لا) الناهية يُطلب بها عدم القيام به. وهي من الأدوات التي تجزم فعلاً مضارعاً واحداً، وتنقل زمنه إلى الاستقبال. وينتهي بها المخاطب كثيراً، كقولك: لا تُضِعْ وَقْتَكَ، وينتهي بها المتكلم أحياناً، أمّا الغائب فقد يكون منهيّاً بها أحياناً، كقوله- جَلَّ اسْمُهُ-: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ (35). وقد تخرج إلى معنى الالتماس في نهى النظر عن أمر، دون استعلاء عليه، وتخرج إلى معنى التهديد أحياناً (36).

أما النهي عند البلاغيين فهو "طلب الكف عن الفعل، أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام" (37). وله صيغة واحدة هي نهى المضارع ب(لا) الناهية الجازمة.

وقد يخرج معنى النهي إلى التمني عندما يكون الطلب موجهاً لغير العلاء.

قال تميم يمدح أخاه الخليفة العزيز بالله وقد نزل عليه ضيفاً بقصر المختار (38): [الخفيف]

فَدَعَ الْفِكْرَ وَالْبَسَ اللَّهْوَ وَانْعَمَ طَرْباً تَحْتَ بَنَدِ الْمَشْهُورِ
لَا أَرْتَكُ الْأَيَّامَ بُؤْساً وَلَا زَل- نَتَ عَزِيزَ الْجَنَابِ صَافِي الضَّمِيرِ

يقوم أسلوب النهي هنا الذي خرج إلى معنى الدعاء بمهمته الحجاجية، فالعزيز خليفة فهماه جسيمة مرهقة ولذلك دعاه تميم إلى أن يسلي عن نفسه، ويخلد للراحة هذه المهام الجسيمة الملقاة على كاهل الخليفة كانت حجة دعاء تميم لأخيه أن يبقى عزيز الجناب، مرتاح الضمير.

الخاتمة

- 1- ان الأساليب الحجاجية شغلت مساحة واسعة في شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي.
- 2- وقد خرجت الأساليب الحجاجية إلى أغراض مجازية مختلفة حقيقية ومجازية، ولكن المجازية شكلت النسبة الأكبر.
- 3- وقد تصدر أسلوب الأستفهام على بقية الأساليب الحجاجية، وجاء بعده النداء والأمر، ومن ثم التمني والنهي.
- 4- كان للأساليب الإنشائية الطلبية دور فاعل في عملية الحجاج والاقناع لدى الشاعر وظفها بمايتناسب ومقتضى الحال، والغرض المنشود.

الهوامش

- (1) يُنظر: الوافي بالوفيات: 412/10.
 - (2) يُنظر: بتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، ابي منصور الثعالبي ، ت:د. مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1983 م: 452/1 .
 - (3) يُنظر: وفيات الأعيان: 303/1.
 - (4) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: 24.
 - (5) المصدر نفسه: 24 — 25.
 - (6) يُنظر: علم المعاني ومقتضى الحال: 19/1.
 - (7) يُنظر: علم المعاني: 88.
 - (8) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ، ت: محمد حسن الاعظمي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1957 م
- 29:
- (9) يُنظر: الحجاج في شعر النقائض: 126.
 - (10) الديوان: 186.
 - (11) المصدر نفسه: 186.
 - (12) المصدر نفسه: 118-119.
 - (13) المصدر نفسه: 119.
 - (14) المصدر نفسه: 341-342.
 - (15) المصدر نفسه: 34.
 - (16) المصدر نفسه: 120.
 - (17) سورة البقرة، آية: 7.
 - (18) الديوان: 379.
 - (19) التلخيص في البلاغة: 171.
 - (20) البلاغة العربية: 113/1.

- (21) الديوان: 149.
(22) المصدر نفسه: 101.
(23) المصدر نفسه: 179 – 180.
(24) المصدر نفسه: 118.
(25) المصدر نفسه: 57.
(26) يُنظر: علم المعاني: 75.
(27) الديوان: 27.
(28) المصدر نفسه: 43 – 44.
(29) المصدر نفسه: 92 – 93.
(30) المصدر نفسه: 23 – 24.
(31) البلاغة العربية: 81/1.
(32) يُنظر: البلاغة العربية: 82/1، يُنظر: علم المعاني ومقتضى الحال: 137/1.
(33) الديوان: 146.
(34) المصدر نفسه: 401 – 402.
(35) سورة آل عمران: آية: 28.
(36) يُنظر: مغنى اللبيب: 326.
(37) البلاغة العربية: 109/1.
(38) الديوان: 162 – 163.

المصادر والمراجع

القران الكريم.

البلاغة العربية، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين.

التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، ضبطه وشرحه الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي.

الحجاج في الشعر العربي بنية وأساليبه، د. سامية الدريدي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، عالم الكتب، أربد - الأردن، 2011م.

الحجاج في شعر النقائض، دراسة تداولية، مكلي شامة، رسالة ماجستير، جامعة مولود، الجزائر، 2009م.

ديوان تميم بن المعز الفاطمي، تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1957م.

علم المعاني ومقتضى الحال، اسعد علي، مطبعة الاتحاد، دمشق، 1987 - 1988م.

علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت.

مغنى اللبيب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د . مازن المبارك و رفاقه، دار الفكر، بيروت، ط5، د.ت.
الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق: جاكلين سوبله وعلي عمارة، دار النشر فرانز شتايز،
ط2، 1991م.
وفيات الاعيان، ابن خلكان(ت681هـ)، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978م.